﴿... لَـنَتَّخِـذَنَّ عَلَيْهِـمْ مَّسْجِـداً ...﴾

محسن الأسدي.[1]

ملخّص البحث:

بقـاع طاهـرة ومواضع مباركـة حظيت بحبِّه تعـالى وعنايتـه وتقديره وتأكيـد شرائعه عـلى عظمـة ذكره فيها صـلاةً وقياماً، تكبيراً وتسـبيحاً وتحميـداً... فهي بحـقٍّ ﴿...**بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَـعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْـمُهُ** ...﴾.[2]

وقـد عدَّت السـماءُ عمارتَها تشـييداً وتطهيراً وتطييبـاً، وإحياءَها عبر الحضـور العباديّ فيهـا وظائـف قلـوب مؤمنة ونفـوس واعيـة عاملة، اسـتحقت إشـادة طيبـة حملتها هذه الآيـة المباركـة: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـاجِدَ اللهِ مَـنْ ءَامَنَ بِـاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِـرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَءَاتَى الـزَّكَاةَ وَلَـمْ يَخْشَ إِلّآ اللهَ فَعَسَىٰ أُوْلَـٰـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِـنَ الْمهْتَدِينَ**﴾.[3]

فيـما عـدَّت إهمالهـا وتخريبهـا ومنعهـا عـن أداء دورها الرسـالي أفعـال نفـوس ظالمة، توعّدتهـا بخـزي الدنيا وعذاب الآخـرة: ﴿**وَمَنْ أَظْلَـمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَـاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ**

---

١. محقق و باحثٌ ديني.

٢. سورة النور: ٣٦ـ٣٧.

٣. سورة التوبة: ١٨.

فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .[1]

ولمعرفة أولئك الموحّدين بما يتوفّر عليه المسجد من مناقب وفضائل، ومن دور عباديّ مبارك يُقرّب إلى الله سبحانه، كان أعظم شيءٍ اتفقت كلمتهم عليه تكريماً ووفاءً لفتية ﴿آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾. أن قالوا : ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً﴾.

يليق بمواقفهم، فيضمّ أبدانهم ويحفظ ذكراهم، وقد اتفقت كلمة أغلب المفسرين أو كادت أنَّ الغاية منه (يُصلّى فيه.. يُعبد الله فيه.. يُتبرّك به...) وهو ما ذكرته هذه المقالة بتفصيل مناسب.

***

﴿وَكَذلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَ أَنَّ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ابْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً﴾.[2]

المسجد الأوّل :

ممّا لا ريب فيه أنَّ المسجد الحرام هو أوّل بيت أُعدَّ لعبادة الله تعالى، وإن اختلف في تاريخ تأسيسه وإنشائه، لكنَّ المؤكّد أنّه كان قبل البعثة المباركة لإبراهيم عليه السلام نبيًّا و رسولاً بوقت طويل ، يُعدُّ بقرون، و أنه عليه السلام اهتدى إليه من قبل الله تعالى، بعد أن أسكن كلاً من زوجته هاجر و رضيعهما إسماعيل عليه السلام.

١. سورة البقرة: ١١٤.

٢. سورة الكهف : ٢١ .

﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.[1]

بـل ؛ و بعـد أن عـاد إلى وادي مكة حيث ابنه إسماعيل عليه السلام، و قد ﴿بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾. أي لـمّا شبَّ حتـى أدرك سعيُه سعيَ أبيه إبراهيـمَ عليه السلام فـي العمل، أن يتصرف و يمشي معـه و يعينه على أمـوره، أو بلغ العمـل لله و العبادة ...

و كان نبـيُّ الله إسماعيل عليه السلام يومئـذٍ ابـن ثـلاث عـشرة سـنة ؛ ليكون شريكـه في رفع أصـول البيـت الحـرام و في الدعاء:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.[2]

فيُزيـلا تلـك الأطـلال، المتكونـة مـن كثبان الرمـال و الـتراب و الصخـور، التـي احتضنـت أُسـس الكعبـة المشرفة، و رفعـا قواعدها التـي وضعت قبل نبـيِّ الله نوح بزمن بعيـد، عـلى اختـلاف فيمن أنشـأها ابتداءً: الملائكـة و جدّدهـا نبـيُّ الله آدم عليه السلام، أو نبيُّ الله آدم عليه السلام بناهـا و جدّدهـا كلٌّ مـن إبراهيـم و ابنـه إسماعيل عليهما السلام برفـع قواعدهـا و تشـييد جدرانهـا، لتكـون بيتـاً مباركاً كـما وصفتـه الآيـة الكريمـة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾.[3]

بُنـي لتوحيـد الله تعـالى وعبادتـه فيه ..وبعـد أن تمَّ لنبـيِّ الله تعالى تشـييد الكعبة، أمره الله تعـالى أن يوجّـه النـاس لحجّهـا وأداء فصـول عبادته ومناسـكه فيها وفيـما حولها، عبر ذلـك الأذان المبـارك : ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن

١. سورة إبراهيم : ٣٧ .

٢. سورة البقرة : ١٢٧ .

٣. سورة آل عمران : ٩٦ .

كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.[1]

و أن يُعدّا بيته لاستقبالهم بتطهيره من كلّ ما يتنافى و توحيد الله عزَّ وجلَّ من شركٍ و عبادة وثنٍ و انحرافٍ. ﴿**وَ إِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآيِفِينَ وَ الْقَآيِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾.[2] ﴿**وَ عَهِدْنَآ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّايِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُود**﴾.[3]

فالبيت المبارك الطاهر هو لهؤلاء الناس الذين هم بين طائفٍ و قائمٍ و عاكفٍ و راكعٍ و ساجدٍ، و أما الذين يُشركون بالله تعالى، و يعبدون غيره من أوثان و أصنام و أمثالها، فليس لهم نصيب في هذا البيت، و يحرمون من فضائله و بركاته و أجوره و ثوابه.

و كان الهدف الأسمى من إسكان إبراهيم بعض ذريته بذلك الوادي هو: ﴿**لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ**﴾. انطلاقاً من ذلك الوادي ؛ من المسجد الحرام الذي اتخذته السماء حول الكعبة. ﴿**لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ**﴾، و إنّما خصَّ الصلاة بالذكر دون سائر العبادات فلعلّه ـ والله أعلم ـ لصدق التوجه إلى الله تعالى و تكراره يومياً، و لأنها خير عمل لذكر اسم الله كثيراً و دوامه، و لفضلها و دورها العظيم في استمرار العلاقة بين العبد و ربّه و تعميقها و تثبيتها و لآثارها في بناء الفرد و المجتمع روحيًّا و أخلاقيًّا و سلوكيًّا..!

و دور المساجد لا يتوقف عند العبادة فيها، و لا تقتصر وظيفتها على ذلك بل تتعداها إلى كون المسجد مركزاً ثقافيًّا تعليمياً، و لكن من المؤسف أنَّ الدور الكبير للمسجد ؛ لو فُعل كما أرادته السماء ؛ لكان فيه خير كثير للناس، فالسلطات الحاكمة و التعصبات و الأهواء أدّت إلى تخريب دور المساجد و إفراغها من مضامينها القيّمة كما

---

١. سورة الحجّ : ٢٧ .

٢. سورة الحجّ : ٢٦ .

٣. سورة البقرة : ١٢٥ .

أنَّ الخطاب الديني البائس أدّى إلى الابتعاد عنها، أو ازدراء دورها في الأُمّة أو اتهامه.

كما أنَّ المساجد وجدت لتكون مثابةً للناس ؛ بقعةً آمنةً، يذكر فيها اسم الله من قبل أُمّة من الناس مؤمنة، تتصف بالهدوء و السكينة، و هي تؤدي عباداتها داخلها، و الشريعة و إن أجازت العبادات خارج المساجد، يبقى للمسجد خصوصيته لعبادة الله تعالى بما في ذلك من عظيم الفضائل و الدرجات، و في الأجر و الثواب لا يحصل عليه العابد إلّا فيها، فضلاً عن أنَّ لإحيائها دوراً مؤثراً في الأمّة و أجراً مضاعفاً، و ذلك بالتواجد فيها و عدم خلوّها من العاملين العابدين، الذين أُنشئت و طهرت لأجلهم.

المسجد الثاني :

و إلى جانب البيت الأول و الذي يسمّى المسجد الحرام، هناك المسجد الأقصى الذي احتلّ المكانة الثانية، ففي التنزيل العزيز: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾.[1]

فهذان المسجدان هما الأقدم، ولم يكن غيرهما معروفاً عند تلك الأمم،...

المسجد الثالث :

فالمسجدُ الحرام، الكعبة ؛ و المسجد الأَقصى، مسجد بيت المقدس. و يبدو ـ والله العالم ـ أنَّ هذا المسجد في قوله تعالى: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً**﴾، هو المسجد الثالث قرآنيًّا، تمَّت الدعوة إليه، و إنشاؤه من قبل فريق الموحّدين المؤمنين يحمل ذاك الدور الذي ذكرناه، و الهدف نفسه الذي كان من دعاء نبيِّ الله إبراهيم عليه السلام ﴿**لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ**﴾، و هذا الهدف و إن لم تذكر الصلاة و لا العبادة صراحةً في قول

---

١. سورة الإسراء : ١ .

القائلين في قصة أهل الكهف: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً**﴾، لكنهم و بقولهم هذا دلّوا أنَّهم على ملّة إبراهيم عليه السلام، و أنَّهم كانوا من المسلمين، و أنَّهم الأعرف بأهمية المسجد و قيمته في حياتهم و في أداء العبادة فيه ؛ و كذا بدور المسجد في تكريم فتية الكهف، و حفظ ذكرياتهم، و إلّا لاكتفوا بقول الذين سبقوهم: ﴿**ابْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً**﴾، فلنقف بعد هذا الإجمال عند هذا الجزء: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً**﴾ فهذا الجزء من الآية المباركة: ٢١ من سورة الكهف، و هي واحدة من مقطع قرآني كريم يبدأ بالآية التاسعة، و ينتهي بالآية السادسة و العشرين، يتحدّث عن قصة: ﴿... **فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ**...﴾، يُعدُّ أمراً مختلفاً عليه، و لا غرابة في الاختلاف، فما أكثر المختلف عليه في المعتقد و الفقه و غيرهما.

فكما كان أولئك القوم: ﴿**يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ**﴾ وقع أيضاً تنازع آخر و لكن هذه المرّة بين مفسري و فقهاء المسلمين في كون هذا الجزء: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً**﴾ يصلح دليلاً على جواز و صحة اتّخاذ مساجد على قبور الأموات أم لا، مع أنَّه اتفق أغلبهم إن لم أقل كلّهم إضافةً للأخبار في ذيل هذا الجزء على أنَّ المراد أو الهدف من اتّخاذ هذا المسجد هو لعبادة الله تعالى، و للصلاة فيه، و للتبرّك به ...، و هذه بعض كلماتهم: (يُصلّى فيه، يُعبد الله فيه، يتبرّك به ...)، سنتعرّض إليها فيما يأتي.

فإنَّ: أَعْثَرْنا لغةً، من عثر على الشيء يعثر عثراً إذا طلع، فعثر به، نظر إليه و عرفه، فكان الإعثار سبباً لحصول العلم. و عثر عليه و أعثرت عليه غيري، و عثر على كذا: اطّلع عليه، و أعثره على كذا: أطلعه، و أعثره على أصحابه: دلّه عليهم. أي أطلعنا أهل مدينتهم عليهم ؛ أطلعنا عليهم قومهم و المؤمنين، أي على الفتية و هم في كهفهم. كما أنمناهم و بعثناهم، أعثرنا عليهم، أي أطلعنا الناس عليهم، و سمّي الإعلام إعثاراً ؛ لأنَّ من كان غافلاً عن شيء فعثر به، نظر إليه و عرفه، فكان الإعثار سبباً لحصول العلم، و سمّي الإعلام إعثاراً.

فيما يقول الراغب: عثر: عثر الرجل يعثر عثاراً و عثوراً إذا سقط، و يتجوز به فيمن يطلع على أمر من غير طلبه، قال تعالى: ﴿**فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا**﴾.[1]

يقال عثرت على كذا، قال: ﴿**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ**﴾، أي وقفناهم عليهم من غير أن طلبوا.

المَسجِد:

جاء في معاجم اللغة أنَّ المسجد من الفعل: سَجَدَ يَسجُد سُجُوداً: أي خضع و تطامن، وَضَعَ جَبْهَتَه على الأرض، فهو ساجد، جمعه: سُجَّدٌ و سُجُودٌ، فيقال: فلان ساجدٌ، قَوْمٌ سُجَّدٌ و سُجُودٌ؛ و منه سُجُودُ الصلاة و هو وضع الجبهة على الأرض و بابه دخل.

و منه المَسجَدُ بالفتح: مَوضع الجَبْهَةِ، أو جبهة الرجل حيث يُصيبه أثرُ السجود.

فيما المَسجِدُ بالكسر هو: الموضع المبنيُّ للصلاة، أو الذي يُسجد فيه، أو كلّ موضع يُتعبد فيه فهو مسجد، أو هو البَيْتُ الذي يُسْجَد فيه، أو هو مِحْرَابُ البيوتِ و مُصَلَّى الجماعة، أو موضع السجود، جمعه مساجِد، بل الأرض بأجمعها؛ ألا ترى ما جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله كما في حديثه الشريف: «جُعلت لي الأرض مَسجِداً و طهوراً، فأيّما رجل من أُمّتي أدركته الصلاة، فليُصلِّ» أو «جُعلت لي الأرض مسجداً و ترابها طهوراً»؟

و لم تنجو هذه البقاع؛ هذه المساجد الطاهرة من ظلم الظالمين و تعسّفهم عبر منع ذكر الله تعالى فيها، و عدم الاهتمام بها، بل و الإساءة إلى طهارتها بعبادة غير الله تعالى فيها. ألا ترى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَـٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلاَّ خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾.

الشيخ الطبرسي: أي و أي أحد أشدّ و أعظم ظلماً: ﴿**مَنْ مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ**﴾ من

١. سورة المائدة: ١٠٧.

﴿أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ و يكون معناه لا أحد أظلم ممن منع أن يذكر في مساجد الله اسمه سبحانه، و عمل في المنع من إقامة الجماعة و العبادة فيها.

و إذا حمل قوله: ﴿مَسَاجِدَ اللهِ﴾ على بيت المقدس أو على الكعبة، فإنما جاز جمعه على أحد وجهين، إمّا أن تكون مواضع السجود، فإنَّ المسجد العظيم يقال لكلّ موضع منه مسجد، و يقال لجملته مسجد، و إمّا أن يدخل في هذه اللفظة المساجد التي بناها المسلمون للصلاة.

و روي عن زيد بن عليٍّ عن آبائه عن عليٍّ عليه السلام أنه أراد جميع الأرض، لقول النبيِّ صلى الله عليه وآله «جُعلت لي الأرض مَسجِداً و ترابها طهوراً».

الإعراب:

﴿وَكَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَ أَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها﴾. الكاف نعت لمصدر محذوف أي و كما أنمناهم و بعثناهم، أطلعنا عليهم قومهم المؤمنين و أعثرنا فعل و فاعل و المفعول به محذوف، و عليهم متعلقان بأعثرنا.

و ليعلموا: اللام للتعليل، و يعلموا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، و أن و ما في حيزها سدّت مسدّ مفعولي ليعلموا، و أنَّ و اسمها؛ وحقٌّ خبرها، و أنَّ الساعة عطف، و أنَّ و اسمها، و لا نافية للجنس و ريبَ اسمها و فيها خبرها، و جملة لا و اسمها و خبرها في محل رفع خبر أنَّ.

و المراد بوعد الله البعث؛ لأنَّ من قدر على إنامتهم هذه النومة الطويلة و بعثهم بعدها قادر على أن يحييهم بعد الموت.

﴿إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾.

الظرف متعلق بأعثرنا، أي أعثرنا عليهم قومهم حين يتنازعون و يختلفون في حقيقة البعث، فكان بعضهم يقول: تبعث الأرواح دون الأجساد، و بعضهم يقول: تبعث الأجساد مع الأرواح، و جملة يتنازعون في محل جرّ بإضافة الظرف إليها و بينهم ظرف

مكان متعلق بيتنازعون.

و أمرهم نصب بنزع الخافض أي في أمرهم، و قيل : تنازعوا تنصب مفعولاً إذا كانت بمعنى التجاذب، فيكون في الكلام استعارة.

﴿فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً﴾.

الفاء عاطفة و قالوا فعل و فاعل، و جملة ابنوا مقول القول، و هو فعل أمر و فاعل و عليهم متعلقان بابنوا، و بنياناً مفعول به ؛ أي قالوا ذلك حين توفى الله أصحاب الكهف .

و أكثر الروايات على أنهم ماتوا حين حدث «تمليخا» حامل الورق حديثهم موتاً حقيقياً و رجع من كان يساوره الشك في بعث الأجساد إلى اليقين أي ابنوا عليهم بنياناً ضنًّا بتربتهم و محافظة عليها و جملة ابنوا عليهم بنياناً مقول قولهم

﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾

الجملة إمّا تتمة لمقولهم قالوا ذلك تفويضاً للعلم إلى الله سبحانه، و قيل : هو مقول كلام لله سبحانه ردًّا لقول المتنازعين فيهم أي دعوا ما أنتم فيه من التنازع، فإني أعلم بهم منكم، و الكلام مبتدأ و خبر و بهم متعلقان بأعلم.

﴿قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾

قال الذين فعل و فاعل و جملة غلبوا صلة الموصول، و على أمرهم متعلقان بغلبوا و هم المؤمنون، و كانت الكلمة لهم آنذاك.

لنتخذن: اللام موطئة للقسم، و نتخذن: فعل مضارع مبني على الفتح و فاعله مستتر، تقديره نحن و عليهم حال و مسجداً مفعول به.

هذا و أنَّ في ﴿إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ استعارة مكنية، فقد شبه أمرهم بشيء كثر النزاع حوله، ثمَّ حذف ذلك الشيء، و استعير النزاع القائم حوله.

من معاني التنازع، هو الاختلاف و التشاور و التناظر، و التخاصم و التصارع.

و يبدو أنَّ أهل ذلك البلد اختلفوا و تخاصموا في شيء، تركهم إزاءه فريقين و قيل : أكثر، و اختلفت الأقوال في موضوع التنازع هذا أو مراده.

الرازي: اختلفوا في المراد بهذا التنازع، فقيل: كانوا يتنازعون في صحة البعث فالقائلون به استدلوا بهذه الواقعة على صحته، و قالوا كما قدر الله على حفظ أجسادهم مدة ثلثمئة سنة و تسع سنين فكذلك يقدر على حشر الأجساد بعد موتها.

و قيل: إنَّ الملك و قومه لما رأوا أصحاب الكهف و وقفوا على أحوالهم، عاد القوم إلى كهفهم، فأماتهم الله، فعند هذا اختلف الناس، فقال قوم: إنّهم نيام كالكرّة الأولى، و قال آخرون: بل الآن ماتوا.

و القول الثالث: أنَّ بعضهم قال: الأولى أن يسدّ باب الكهف ؛ لئلا يدخل عليهم أحد، و لا يقف على أحوالهم إنسان. و قال آخرون: بل الأولى أن يُبنى على باب الكهف مسجدٌ.

و هنا يُعقّب الرازي على قولهم هذا قائلاً: و هذا القول يدلُّ على أنَّ أولئك الأقوام كانوا عارفين بالله، معترفين بالعبادة و الصلاة.

و القول الرابع: أنَّ الكفار قالوا: إنّهم كانوا على ديننا فنتخذ عليهم بنياناً، المسلمون قالوا: كانوا على ديننا فنتخذ عليهم مسجداً.

و القول الخامس: أنَّهم تنازعوا في قدر مكثهم.

و السادس: أنّهم تنازعوا في عددهم و أسمائهم.

ثمّ قال تعالى: ﴿**رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ**﴾، و هذا فيه وجهان. أحدهما: أنّه من كلام المتنازعين كأنهم لما تذاكروا أمرهم، و تناقلوا الكلام في أسمائهم و أحوالهم و مدّة لبثهم، فلمّا لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا: ﴿**رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ**﴾. الثاني: أنَّ هذا من كلام الله تعالى ذكرُه ردًّا للخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين.

و أما في الأخبار فهذا بعض ما جاء في التنازع:

قال ابن عباس: يتنازعون في البنيان، فقال المسلمون: نبني عليهم مسجداً يُصلّي فيه الناس ؛ لأنهم على ديننا. و قال المشركون: نبني عليهم بنياناً ؛ لأنهم من أهل نسبنا.

و قال عكرمة: تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: البعث للأجساد و الأرواح معاً، و قال قوم: للأرواح دون الأجساد، فبعثهم الله تعالى، و أراهم أنَّ البعث للأجساد و الأرواح.[1]

و هذا ما يدعو أولاً إلى متابعة ما ذكر في الأخبار و أقوال مشهور المفسرين لبيان الطائفتين، و بالذات الثانية، و لبيان المراد و الهدف من هذا المسجد: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً**﴾ عبر استعراض مجمل لآرائهم و أقوالهم، و التي منها: «يُصلّى فيه، يُعبد الله فيه، يتبرّك به...».

حرصتُ فيه أن أذكر ما تيسّر لي من أقوالهم، و بحسب ما يذهبون إليه من المواقف، مع ذكر أصحابها و مصادرها، و باختصار ؛ إثباتاً للأدلة و تيسيراً للقارئ .

فلقد كان هناك قولان أو ثلاثة أقوال لأهل المدينة بعد أن انقسموا في شأن أهل الكهف ؛ فمن قائل: نتركهم كما هم عليه، و قائل: بل نسدُّ الكهف عليهم و قال فريق ثالث: نبني عليهم مسجداً يصلّي فيه الناس، و قد غلب هذا الرأي على بقية الآراء، كما أشار إلى هذا التقسيم بعض المفسرين، كان منهم الشيخ محمد جواد مغنية في التفسير الكاشف.

و لكن السياق القرآني يحمل قولين لا ثلاثة أقوال، و بالتالي فهناك فريقان بعد أن هرع الناس إلى الكهف.

---

١. انظر معاجم اللغة ؛ القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً، لسعدي أبو جيب : ١٦٧ ؛ تفسير مجمع البيان : سورة البقرة : ١١٤ ؛ مفردات الراغب وغيرها ؛ إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين آلدرويش : سورة الكهف، الآية : ٢١ ؛ تفسير مفاتيح الغيب ؛ التفسير الكبير، الرازي، الآية.

فقولهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً﴾ جاء مقابل أولئك القائلين و هم الفريق الأول:)﴿ابْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً﴾. و الأقوال في المراد من هذا البنيان الذي أراده الفريق الأول متعدّدة، منها:

أي على باب كهفهم ؛ لئلا يتطرّق إليهم الناس ضنًّا بتربتهم و محافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله ﷺ بالحظيرة.

أي استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البنيان، كما يقال بنى عليه جداراً إذا حوطه و جعله وراء الجدار.

أي سدّوا عليهم باب كهفهم، و ذروهم على حالهم.

بناء البنيان ليكون مَعْلَماً لهم و...

و هذه أقوال بعض المفسرين في تأويل ما اختلف الناس يومذاك في صور تكريم أولئك الفتية، و حفظ قبورهم للتذكير بهم، بعد أن أظهر الله تعالى آيتهم فقال فريق: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾.

و فريق آخر: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾.

الطبري (ت٣١٠هـ) في جامع البيان في تفسير القرآن: .. و أمر الملك فجعل كهفهم مسجداً يُصَلَّى فيه، و جعل لهم عيداً عظيماً، و أمر أن يؤتى كلّ سنة... و إذا الملك مسلم و أصحابه مسلمون. فقال المشركون: نحن أحقّ بهم هؤلاء أبناء آبائنا. و قال المسلمون: نحن أحقّ بهم، هم مسلمون منّا. فقال المشركون: نبني عليهم بُنياناً، فإنهم أبناء آبائنا، و نعبد الله فيها.

و قال المسلمون: نحن أحقّ بهم، هم منّا، نبني عليهم مسجداً نصلّي فيه، و نعبد الله فيه.

و في خبر عن عبد الله بن عبيد بن عمير: فقال المشركون: نبني عليهم بنياناً، فإنهم أبناء آبائنا، و نعبد الله فيها، و قال المسلمون: بل نحن أحقّ بهم هم منّا،

نبني عليهم مسجداً نصلّي فيه، و نعبد الله فيه.

القرطبي (ت٦٧١هـ) في الجامع لأحكام القرآن: فقال الملك: ابنوا عليهم بنياناً، فقال الذين هم على دين الفتية: اتخذوا عليهم مسجداً. و روي أنَّ طائفة كافرة قالت: نبني بيعةً أو مضيفاً، فمانعهم المسلمون و قالوا: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً**﴾. و روي أنّ بعض القوم ذهب إلى طمس الكهف عليهم و تركهم فيه مغيّبين. و روي عن عبدالله بن عمر أنَّ الله تعالى أعمى على الناس حينئذٍ أثرهم و حجبهم عنهم فلذلك دعا الملك إلى بناء البنيان ؛ ليكون مَعْلَماً لهم.

و قيل: إنَّ الملك أراد أن يدفنهم في صندوق من ذهب فأتاه آتٍ منهم في المنام، فقال: أردت أن تجعلنا في صندوق من ذهب فلا تفعل فإنّا من التراب خلقنا و إليه نعود، فدعنا.

و روي أنَّ طائفة ذهبت إلى أن يطمس الكهف عليهم و يتركوا فيه مغيبين و بعد أن ذكر هذا أبوحيان (ت٧٥٤هـ) في البحر المحيط قال: وقالت الطائفة الغالبة: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً**﴾ فاتخذوه.

و روي أنَّ التي دعت إلى البنيان كانت كافرة أرادت بناء بيعة أو مصنع لكفرهم، فمانعهم المؤمنون و بنوا عليهم مسجداً. و قرأ الحسن و عيسى الثقفي: غلبوا بضم الغين و كسر اللام، و المعنى أنَّ الطائفة، التي أرادت المسجد كانت تريد أن لا يبني عليهم شيء و لا يعرض لموضعهم.

و روي أنَّ طائفة أخرى مؤمنة أرادت أن لا يطمس الكهف، فلما غلبت الأولى على أن يكون بنيان و لابدَّ، قالت يكون ﴿**مسجداً**﴾ فكان.

ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) في التحرير و التنوير: و إنما ارتأوا أن يبنوا عليهم بنياناً لأنهم خشوا عليهم من تردد الزائرين غير المتأدبين، فلعلهم أن يؤذوا أجسادهم و ثيابهم باللمس و التقليب، فأرادوا أن يبنوا عليهم بناءً يمكن غلق بابه و حراسته.

و جملة رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ يجوز أن تكون من حكاية كلام الذين قالوا: ﴿**ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا**﴾. و المعنى ربّهم أعلم بشؤونهم التي تنازعنا فيها، فهذا تنهية للتنازع في أمرهم. و يجوز أن تكون معترضة من كلام الله تعالى في أثناء حكاية تنازع الذين أعثروا عليهم، أي ربّ أهل الكهف أو ربّ المتنازعين في أمرهم أعلم منهم بواقع ما تنازعوا فيه. و الذين غلبوا على أمرهم ولاة الأمور بالمدينة، فضمير ﴿**أَمْرِهِم**﴾ يعود إلى ما عاد إليه ضمير ﴿**فقالوا**﴾. أي الذين غلبوا على أمر القائلين: ابنوا عليهم بنياناً. و إنّما رأوا أن يكون البناء مسجداً؛ ليكون إكراماً لهم و يدوم تعهد الناس كهفهم.

أقول: أما الفريق الثاني، فكان كما يبدو أكثر فهماً لسيرة هؤلاء الفتية و تثميناً لموقفهم، و تكريماً لسيرتهم و معاناتهم و تضحيتهم من أجل عقيدتهم؛ عقيدة التوحيد و ما تستلزمه منهم، و أنَّ أولئك الفتية لإيمانهم و ثباتهم ضدَّ ما مورس معهم من ظلم و تعسّف و إذلال و تهديد بالقتل، و لأنَّ هذا الفريق يُدرك أهمية المسجد و قدسيته عند الله تعالى و عند المؤمنين و أنَّ القوم القائلين به، و الداعين إليه كانوا عارفين بالله تعالى، معترفين بالعبادة و الصلاة؛ و الفتية أصدق المؤمنين أُنموذجاً و أعظمهم مثالاً، فهم يستحقون تلك الأهمية و الرعاية لهم، و تلك القدسية التي لا تتأتى بمجرد البنيان عليهم، دون أن يكون دار عبادة، مسجداً نُصلّي بجانبهم، قريباً منهم، فإنَّهم أُناس مباركون، فيأخذ هذا البناء طابع الحرمة و التقديس، و الطهارة و الأمان، و عبادة الله تعالى بالصلاة فيه... كما لا يتم تكريمهم، و لا يدوم تعهد الناس لهم، و حفظ ذكراهم و قصتهم و مبادئهم، إلّا أن يكون البناء عليهم مسجِداً فما يتوفّر بالمسجد لا يتوفّر في أي بناء آخر، فتتجسد رحمة الله تعالى و عنايته بعباده المخلصين، و تخلد العِبرة، و تتوارثها الأجيال أنَّ الله سبحانه حفظ هؤلاء الفتية الذين آمنوا به و وحدوه، في زمن انتشر فيه الشرك و الكفر و ملوك الضلال و تعسفهم، حتى أنَّ هؤلاء الأحداث و الشباب، أو الفتية كما سمّاهم التنزيل العزيز تعرّضوا للشتم و الضرب و الملاحقة، و التهديد

بالاغتيال، لا لشيءٍ إلّا لأنّهم أولاً: ﴿**فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاهُمْ هُدًى * وَ رَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلٰـهاً لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً**﴾.

بين قوسين [فِتْيَةٌ] أبو حيان: يشعر بأنهم كانوا شباباً، و كذا روي أنهم من أبناء الأشراف و العظماء مطوقين مسورين بالذهب ذوي ذوائب و هم من الروم اتبعوا دين عيسى عليه السلام.

ابن كثير: فألهمهم الله رشدهم، و آتاهم تقواهم، فآمنوا بربّهم، أي اعترفوا له بالوحدانية، و شهدوا أنه لا إله إلّا هو. و قد ذكر ابن كثير أيضاً: و الشباب أقبل للحقّ، و أهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا و انغمسوا في دين الباطل و لهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى و لرسوله صلى الله عليه وآله شباباً، و أما المشايخ من قريش، فعامتهم بقوا على دينهم، و لم يسلم منهم إلّا القليل.

فيما جاء عن سليمان بن جعفر الهمداني، قال: قال لي جعفر بن محمد عليه السلام: «يا سليمان، مَن الفتى؟ قال: فقلتُ له: جعلت فداك، الفتى عندنا الشاب. قال لي: أما علمتَ أنَّ أصحاب الكهف كانوا كهولاً، فسمّاهم الله فتية بإيمانهم. يا سليمان، مَن آمن بالله و اتقى فهو الفتى».

و بمثل ذلك، و بعد أن ذكر القرطبي أنّهم شباب و أحداث، قال: حكم لهم بالفتوّة حين آمنوا بلا واسطة، كذلك قال أهل اللسان: رأس الفتوّة الإيمان.

و قال الجنيد: الفتوّة بذل النَّدى، و كفُّ الأذى، و ترك الشكوى. و قيل: الفتوّة اجتناب المحارم، و استعجال المكارم. و قيل غير هذا. و هذا القول حسن جدًّا؛ لأنّه يعمّ بالمعنى جميع ما قيل في الفتوّة!

ابن عجيبة: ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ**﴾ شبان كاملون في الفتوة ﴿**آمَنُوا بِرَبِّهِمْ**﴾ فيه التفات إلى

ذكـر الربوبيـة، التي اقتضـت تربيتهـم و حفظهم.[1]

أذكـر هـذا، لأنه ـ والله العـالم ـ لعلّه يُعدُّ من أهم الأسـباب التي دعـت الفريق الغالب أن يقـول: ﴿لَنَتَّخِـذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْـجِدًا﴾، تكريـماً لفتوّتهم بما تحمله هذه التسـمية من تلك المناقـب و زيـادة، هـذا أولاً. و أمـا ثانيـاً: فـلأنَّ هـذا الوصـف، لم توصـف بـه جماعـة من قِبـل الله تعـالى إلّا هُـم فتيـة الكهـف، و لم يوصـف به شـخصٌ مـن المؤمنين عـبر التاريخ الدينـي مـن قبل الله تعـالى، إلّا واحـد؛ إنَّه أمير المؤمنـين الإمام عليّ عليه السلام: «لا سـيف إلّا ذو الفقـار، و لا فتـى إلّا عليٌّ».

فأحببتُ الإشارة إلى ذلك، و جعلتها بين قوسين.

و ثانيـاً؛ لأنَّهـم شـخّصوا مـا عليـه قومهم: ﴿هَـؤُلَاءِ قَوْمُنَـا اتَّخَـذُواْ مِن دُونِـهِ آلِهَةً لَّـوْلاَ يَأْتُـونَ عَلَيْهِـم بِسُـلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَـنْ أَظْلَمُ مِمَّـنِ افْـتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾.

إلى أن أجـبروا أن يفـروا بعيـداً عـن بلدهـم، و لم يجدوا مكانـاً يلجؤون إليـه من الأذى و القتـل إلّا مغـارةً؛ إلّا كهفاً.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُـمْ وَمَـا يَعْبُـدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَـأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُــرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّـن رَّحْمَتِـهِ وَيُهَيِّئْ لَكُـمْ مِّنْ أَمْرِكُـمْ مِّرْفَقاً﴾.[2]

تنتظرهـم فيـه رحمـة الله تعـالى و عنايتـه، و رفقـه و لطفـه، و تجسّـدت لهـم في الكهف ضيافتـه تعـالى، و ذلـك حـين أكرم في هـذا المكان قـدوم ضيوفه حتـى بعد موتهـم أن كان مسـجداً، و المسـجد هـو الأطيـب و الأطهـر تربةً مـن الأرض، و الأقـرب بقاعـاً إلى حبّه تعـالى و رضاه!

---

١. انظـر تفسـير البحـر المحيـط، أبـو حيـان؛ تفسـير القـرآن العظيـم، ابـن كثـير؛ البرهـان في تفسـير القـرآن، هاشـم الحسـيني البحـراني (ت ١١٠٧ هــ)؛ الجامع لأحكام القـرآن، القرطبي؛ ابن عجيبة (ت ١٢٢٤ هــ)، البحـر المديـد في تفسـير القـرآن المجيـد، بتـصرف فيها.

٢. سورة الكهف: ١٦.

ففـرق كبـير بـين القولـين، و فـرق عظيـم بـين المشروعـين ؛ مـشروع البنيـان المجـرّد و المناسـب لمـا يعتقـده قائلـوه، و مشروع المسـجدية الملائم لقيـم الإيـمان و الموافق لمبادئ التوحيد، و الأنسـب لمسـيرة هـؤلاء الفتيـة، و الأحسـن مكافـأةً لصنيعهم!

فهـم مختلفـون فيـما ذهـب كلٌّ منهما إليـه، و إلّا لو كانا متسـاويين في الموقـف من الفتية و في النظـرة إليهـم و لمعاناتهـم و صبرهـم و ثباتهـم على دينهـم ، و كذا في الاعتقـاد فلكلٍّ فريـق معتقـده الخـاص به، لما وقـع التنازع بينهـما، و لما ذهـب كلُّ فريق لما يريـد على القول بـأنَّ ﴿**إِذْ يَتَنَازَعُـونَ بَيْنَهُـمْ أَمْرَهُـمْ**﴾ وقـع بهذا الخصـوص بـين: ﴿**ابْنُـواْ**﴾ و ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ**﴾ أي أنَّ الأمـر المتنـازع فيـه خصُّ بالبناء و المسـجد، فالذيـن قالوا: ﴿**ابْنُـواْ عَلَيْهِـمْ بُنْيَاناً**﴾ اكتفـوا بمجرد البنـاء عليهم...

فيـما الفريـق الثـاني، و معرفـة منهم بـما أراده الفريـق الأول مـن البناء: ابنـوا على باب كهفهـم بنيانـاً ؛ حتـى لا يصل النـاس إليهـم، و حتى نصونهم مـن الأذى.

أراد البنـاء أيضـاً ؛ لكنـه بنـاءٌ آخـر، و وفـق شـكّل و مضمـون أو مـراد آخـر فجعلوا عنوانـه مسـجداً ؛ لمـا للمسـجد مـن موقـع معنـوي كبـير، و العبـادة و التبرك فيـه أعظم، و هـو الأنسـب مقامـاً للفتيـة و الأكثـر تقديـراً و توقـيراً، و الأحفـظ لذكرهـم و لفصول قصتهـم، و هـو مدعـاة لإقبـال النـاس عليهـم، فالمسـجد بقعـة طيبـة جاذبـة للمؤمنين، يقصدونهـا عـلى الـدوام ؛ ليذكـروا اسـم الله سـبحانه فيها.

فهـذا ابـن عاشـور في التحريـر و التنوير يقـول: و إنّـما رأوا أن يكـون البناء مسـجداً ؛ ليكـون إكرامـاً لهـم، و يـدوم تعهد النـاس كهفهم.

و كـذا يقـول العلّامة الطباطبائـي في الميـزان: ﴿**لَنَتَّخِـذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْـجِدًا**﴾ يُعبد فيه الله، و يبقـى ببقائـه ذكرهم.

و عبـد الرحمن بن ناصر بن السـعدي قـال: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْـجِدًا**﴾ أي: نعبد الله تعـالى فيـه، و نتذكر به أحوالهـم، و ما جرى لهم.

و أيضاً وردت هذه المعاني: (يُعبد الله فيه، يُصلّى فيه، يُتبرك به، يُصلّي فيه المؤمنون تبركاً بهم، يتبركون بهم و بمكانهم، نستبقي آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد)؛ وردت عند كثير مـ المفسّرين من جهات متعددة.

و على هذا، و هو ما استفاده المفسرون، يتضح لنا أنَّ الراغبين ببناء المسجد كانوا يدركون دور المسجد و خصوصيته، و أنّه هو الأنسب لهؤلاء الفتية المؤمنين الصالحين في حفظ مسيرتهم، و وعي قصتهم و فصولها، و التمسك بذكراهم من قبل المؤمنين الأحياء.

و جميل ما قاله هيكل: و نحن لا نقيم الآثار لمن سبقونا متاعًا لهم بها فمتاعهم في عالمهم بما قدَّموا من عمل صالح، و إنّما نقيمها ذكرًا و معتبرًا للأجيال في تعاقبها حثًّا لأبنائها على أن يجدوا في السابقين الأولين الأسوة و المثل.

و كأنهم بالعبادة فيه يجدّدون ما كان عليه الفتية من عبادتهم في هذه البقعة، إذ دخلوا الكهف يعبدون الله فيه، قبل أن يضرب الله تعالى على آذانهم، فخلّدها الفتيةُ و هم أحياء بقعةً عباديّةً مباركةً، و خلدوها و هم أموات حين اكتملت ببناء مسجد عليهم بعد رحيلهم إلى الملكوت الأعلى. ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا**﴾.

﴿**عَلَيْهِمْ**﴾ كما نصّت الآية، لا على باب كهفهم أو بجواره أو قريباً منه أو منهم؛ بل ﴿**عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا**﴾، وهذا لا يخلو من عظيم المنزلة لهم، والاهتمام بهم، و زيادةً في تكريمهم، و تخليداً لذكراهم، و تقديراً لمعاناتهم و تضحياتهم، وهم يؤدّون دورهم الكبير في رحلتهم الإيمانيّة المباركة.

و قد استفاد بعضهم هذا المعنى وقال به: ﴿**عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا**﴾ من فوقهم أو على باب الكهف.

كما جاء عن صاحب تفسير هميان الزاد إلى دار المعاد. جاء هذا في آخر كلامه عن المتنازعين و مرادهم، قيل: إنَّ تنازعهم في أمر أصحاب الكهف هو ما خصَّ الله له

بقولـه ﴿فَقَالُـوا﴾ أى قال بعضهم ﴿ابْنُـوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً﴾ يسـترهم سـدًّا للطريق إليهم فلا يأتيهـم النـاس، و لا يتنافسـون فى أمرهـم، و لا يتسـارعون إلى أخذ ترابهم.

و قيـل: المعنـى ابنو عليهم بنياناً، يسـكنه الناس و تتخذونه قربة، و إلّا لا نسـب بقوله: ﴿رَبُّهُـمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾.

و عـلى الثانـى يقـال المعنـى حاصل مـا يفعـل أن يبنى عليهـم بنيـان و ندع التنـازع فى أمرهـم ربّهـم أعلـم بهم.

و ذكـر بعضهـم أنَّ القائلـين: ﴿ابْنُـوا عَلَيْهِـمْ بُنْياناً﴾ هـم المشركون المنكـرون للبعث مطلقـاً، أو المنكـرون لبعـث الأجسـاد، فـإن أقـروا بـالله كـما هـو المتبـادر من إنـكار بعث الأجسـاد، فالمـراد بربّهـم الله، فشرك هـؤلاء بإنكار البعـث أو إنكار بعث الأجسـاد، و إن لم يقـروا بـه، فمرادهـم بالـربّ مـن كان ربًّـا لأصحـاب الكهـف بـدون أَن يعلـم هـؤلاء القائلـون أنّ ربّهم الله.

قال ابن عباس: قال المشركون: نبنى عليهم بنياناً ؛ لأنهم من أهل ديننا.

﴿قَـالَ الَّذِيـنَ غَلَبُـوا﴾ اسـتولوا أو غلبـوا غـيره ﴿عَلَى أَمْرِهِـمْ﴾ أمـر الفتيـة أصحاب الكهـف، و هـؤلاء الغالبـون هـم المؤمنـون، و قيـل الملـوك و الرؤسـاء.

﴿لَنَتَّخِـذَنَّ عَلَيْهِـمْ﴾ من فوقهم أو على باب الكهف. ﴿مَسْـجِداً﴾ يصـلّى فيه المؤمنون و يتبركـون بهـم و بمكانهم ؛ لأنهم عـلى ديننا.[1]

وأحسـن الشـعراوي إذ يقـول:.. حـدث هـذا التنـازع مـن الجماعـة الذين عثـروا عليهم، ويبـدو أنهـم كانوا على مِسْـحة مـن الدين، فـأرادوا أنْ يحافظوا عـلى هذه الآيـة الإلهية، ويصحّ أنهـم بمجـرد أنْ عثروا عليهم قـضى أجلهم فماتوا. وهذه مسـألة يجب أن يُؤرّخ لهـا، وأن تخلد لذلـك جعلوهـا مثـلاً شَرُوداً للعـالم كلـه لتُعـرف قصة هـؤلاء الفتية الذيـن ضَحَّوْا في سـبيل عقيدتهـم وفَـرُّوا بدينهم من سَـعَة الحيـاة إلى ضيق الكهـف ؛ ليكونوا مثلاً لـكلّ أهل العقيدة،

١. محمد بن يوسف اطفيش (ت١٣٣٢هـ) من مفسري الأباضية، تفسير هميان الزاد إلى دار المعاد.

ودليلاً على أنَّ الله تعالى ينصر أهله ويدافع عنهم، ويُخلِّد ذكراهم إلى قيام الساعة.

لذلك قال بعضهم لبعض: ﴿**ابْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً**..﴾ أي: مطلق البنيان، فعارضهم آخرون بأنَّ البناء يجب أن يكون مسجداً ﴿**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً**﴾ ليكون موضعاً للسجود لله وللعبادة؛ ليتناسب مع هذه الآية العظيمة الخالدة.[1]

فالأمر إذن ينحصر بين هذين الفريقين، وهذين القولين إما البناء عليهم، وإما اتخاذ مسجد عليهم، ومع أنَّهما بناءٌ، لكن الأول عام، وأما الثاني ففيه خصوصية المسجدية، التي من شؤونها إقامة العبادة وأصدقها الصلاة ... كما أنَّ البناء يقوم به الجميع سواء أكانوا مسلمين أم غيرهم، فيما الثاني يدل على أنَّ القائلين كانوا مسلمين، فهم العارفون بما يتضمنه معنى المسجد، وهم الداعون إليه والقائمون به ..

صحيح أنَّ التنزيل العزيز لم يصرح من هم أولئك ﴿**الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ**﴾ ولكن دعواهم إلى إقامة المسجد تدلُّنا على أنَّهم أُناس موحدون، مسلمون، يعرفون ما للمسجد من آثار وقيم ... عارفين بالله تعالى، ويعترفون بالعبادة و الصلاة ...

فنفس قولهم: مسجداً يدل على أنَّ القائلين كانوا مسلمين، وأنَّ المسجدية من شؤونها إقامة العبادة وأصدقها الصلاة .. وبالتالي لا مسوغ إلى التردّد بين كونهم مسلمين أم كفاراً.

يقول الشنقيطي: قوله تعالى ﴿**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً**﴾. لم يبين الله هنا مَن هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم، هل هم من المسلمين أو من الكفار؟

وذكر ابن جرير وغيره فيهم قولين أحدهما: أنّهم كفار. والثاني: أنهم مسلمون، وهي قولهم ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً**﴾ لأنَّ اتخاذ المساجد من صفات المؤمنين لا من

١. خواطر محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٩ هـ).

صفـات الكفـار. هكذا قـال بعض أهـل العلم.

الجيـلاني في تفسـيره: فاختلـف النـاس في أمرهـم، فقـال المسـلمون: هـم منـا لأنـا موحـدون، وقـال الكافـرون: بـل هـم منـا لكونهـم أولاد الكفـار.

وبالجملـة: ﴿**فَقَالُواْ ابْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً**﴾ قال المسـلمون: نحن نبني عليهم مسـجداً، وقـال الكافرون نحن نبني عليهم كنسـيةً، وكلا الفريقين ليسـوا عالمـين بكفرهم وإيمانهم، بـل ﴿**رَبُّهُـمْ**﴾ الـذي ربّاهم بأنـواع التربية ورحمهم بأنـواع الرحمـة ﴿**أَعْلَمُ بِهِـمْ**﴾ وبحالهم، فأمرُهـم موكـولٌ إلى الله مفـوض إليـه، ثم لمـا تمادى النـزاع بينهـم وتطاول جدالهـم ﴿**قَالَ الَّذِيـنَ غَلَبُـواْ عَلَى أَمْرِهِمْ**﴾ بالقـدرة الحجة، وهم الموحدون المسـلمون ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ**﴾ ونبنين ﴿**عَلَيْهِـمْ مَّسْـجِداً**﴾ نتوجه فيـه لله، ونتبرك بهـم، ونجعله محل الحاجات وقضـاء المناجاة، فاتخـذوه وجعلوه مرجعـاً يرجع إليه الأقـاصي والأداني.[1]

وقـد سـبقهم لهـذا مـن القدمـاء وممـن تبعهـم، وأيضاً مـن المعاصريـن مـن ذهب إلى ذلـك؛ نوجـز عباراتهـم مع ذكر قائلهـا ـ بمعنى أني لا أكتفـي بذكر واحد منهـم أو اثنين ـ وذلـك لأهمية الموضـوع، ولمزيد فائدة، وتسـهيلاً للقارئ والمتابع: الطـبري (ت ٣١٠ هـ) في تفسيره: فقال الـمشركون: نبنـي عليهم بنياناً، فإنهم أبناء آبـائنا، ونعبد الله فـيها.

وقال الـمسلـمون: بل نـحن أحقّ بهم، هم منا، نبنـي علـيهم مسجداً نصلـي فـيه، ونعبد الله فـيه.

الماتريـدي (ت ٣٣٣هـ) في تأويلات أهل السـنة: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْـجِداً**﴾ يحتمل بناء المسـجد عليهـم إكراماً لهم وإعظامـاً؛ ليذكروهم في ذلك المكان عـلى قرب منهم، على مـا ظهـر عندهم من إكـرام الله إياهـم. أو يتخذون مسـجداً لعبـادة أنفسـهم؛ ليعبد الله عـلى قرب منهم؛ ليسـألوا مـن بركتهم ونحـوه، والله أعلم.

---

١. الشـنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ)، تفسـير أضـواء البيـان في تفسـير القـرآن؛ الجيـلاني (ت ٧١٣)، تفسـير الجيـلاني.

السمرقندي (ت ٣٧٥ هـ) في تفسير بحر العلوم: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ يعني: الذين كانوا على دين أصحاب الكهف وهم المؤمنون ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِدًا﴾ قال الزجاج: فيه دليل أنه ظهر أمرهم وغلب الذين أقروا بالبعث على غيرهم؛ لأنهم اتخذوا مسجداً والمسجد يكون للمسلمين.

الزجاج (ت سنة ٣١١هـ) ذكر في معاني القرآن عن قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾، هذا يدل ـ والله أعلم ـ أنه لما ظهر أَمْرُهُمْ غلب المؤمنون بالبعث والنشُور؛ لأن المَساجِدَ للمؤمنين.

الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في الكشاف: ﴿فَقَالُواْ﴾ حين توفى الله أصحاب الكهف ﴿ابْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾ أي على باب كهفهم؛ لئلا يتطرّق إليهم الناس ضناً بتربتهم، ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله ﷺ بالحظيرة.

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ من المسلمين وملكهم، وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾ على باب الكهف ﴿مَّسْجِدًا﴾ يصلّي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم... وعن الفتية يقول: ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه، ثم ضرب الله على آذانهم.

الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في التبيان: فقال بعضهم: ابنوا عليهم مسجداً؛ ليُصلي فيه المؤمنون تبركاً بهم.

الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) في الوجيز: ﴿إذ يَتَنَازَعُونَ﴾ أَي: اذكر يا محمد إذ يتنازع أهلُ ذلك الزَّمان أمرَ أصحاب الكهف ﴿بَينَهُم﴾ وذلك أنَّهم كانوا يختلفون في مدَّة مكثهم وفي عددهم. وقيل: تنازعوا، فقال المؤمنون: نبني عندهم مسجداً، وقال الكافرون: نُحوِّط عليهم حائطاً. يدلُّ على هذا قوله: ﴿ابنُوا عَلَيهِم بُنيَاناً﴾ استروهم عن النَّاس ببناءٍ حولهم، وقوله: ﴿رَبُّهُم أَعلَمُ بِهِم﴾ يدلُّ على أنَّه وقع تنازعٌ في عدَّتهم. ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أمرِهِم﴾ وهم المؤمنون، وكانوا غالبين في ذلك الوقت. ﴿لَنَتَّخِذَنَّ

﴿عَلَيهِم مَّسجِداً﴾ فذكر في القصَّة أنّه جعل على باب الكهف مسجد يصلَّى فيه.

الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) في المجمع: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَّسجِداً﴾ أي معبداً وموضعاً للعبادة والسجود يتعبد الناس فيه ببركاتهم، ودلَّ ذلك على أنَّ الغلبة كانت للمؤمنين، وقيل :مسجداً يصلّي فيه أصحابُ الكهف إذا استيقظوا عن الحسن.

الرازي (ت ٦٠٦ هـ) في مفاتيح الغيب: وقال آخرون: بل الأولى أن يبنى على باب الكهف مسجد، وهذا القول يدل على أنَّ أولئك الأقوام كانوا عارفين بالله معترفين بالعبادة والصلاة ... أنَّ الكفار قالوا: إنهم كانوا على ديننا فنتخذ عليهم بنياناً، والمسلمون قالوا : كانوا على ديننا فنتخذ عليهم مسجداً... ثم قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ قيل : المراد به الملك المسلم، وقيل: أولياء أصحاب الكهف، وقيل: رؤساء البلد: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَّسجِداً﴾ لنعبد الله فيه، ونستبقي آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد.

ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) في تفسير القرآن المنسوب إليه: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أمرِهِم﴾ من أصحابهم، والذين يلون أمرهم تبركاً بهم وبمكانهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَّسجِداً﴾ يصلّى فيه.

البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) في أنوار التنزيل وأسرار التأويل:.. قالت طائفة: نبني عليهم بنياناً يسكنه الناس ويتخذونه قربة. وقال آخرون: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَّسجِداً﴾ يُصلّى فيه.

القمي النيسابوري (ت ٧٢٨هـ) في غرائب القرآن ورغائب الفرقان: وقيل: أراد إذ يتنازع الناس بينهم أمر أصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم، أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا، كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق إليهم، ﴿فَقَالُوا ابنُوا﴾ على باب كهفهم ﴿بُنيَاناً﴾ ... وبنى (الملك) على باب الكهف مسجداً، فيكون فيه دليل على أنَّ أولئك الأقوام كانوا عارفين بالله تعالى ومعترفين بالعبادة والصلاة.

وقيل: إنَّ الكفار قالوا: إنهم كانوا على ديننا، ونتخذ عليهم بنياناً، والمسلمين قالوا: بل كانوا على ديننا فنتخذ عليهم مسجداً ... ثمَّ قال: والذين غلبوا على أمرهم: المسلمون وملكهم المسلم؛ لأنهم بنوا عليهم مسجداً يُصلّى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم، وكانوا أولى بهم بالبناء عليهم حفظاً لتربتهم بها وضناً بها. فقال بعضهم: ابنُوا عليهم بنياناً ونتركهم وشأنهم، فربُّهم أعلمُ بحالهم. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمرِهِم لَنَتَّخِذَنَّ﴾ على مكانهم مسجداً نعبد الله فيه.

النسفي (ت٧١٠هـ) في تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ﴿فَقَالُواْ﴾ حين توفى الله أصحاب الكهف ﴿ابْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾ أي على باب كهفهم لئلا يتطرق إليهم الناس ضناً بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم، فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ﴿رَبُّهُم أعلَمُ بِهِم﴾ أو من كلام الله عزّوجلّ ردّاً لقول الخائضين في حديثهم ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على باب الكهف ﴿مَسْجِدًا﴾ يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم.

ابن جزي الغرناطي (ت٧٤١هـ) في التسهيل لعلوم التنزيل: ﴿فَقَالُواْ ابْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً﴾ أي على باب كهفهم إما ليطمس آثارهم، أو ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أخذهم أو أخذ تربتهم تبركاً، وإما ليكون علماً على كهفهم ليعرف به.

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ قيل: يعني الولاة وقيل: يعني المسلمين؛ لأنهم كانوا أحقّ بهم من الكفار، فبنوا على باب الكهف مسجداً لعبادة الله.

تفسير الجلالين، المحلى (ت المحلى ٨٦٤هـ) والسيوطي: ﴿فَقَالُواْ﴾ أي الكفار ﴿ابْنُواْ عَلَيْهِمْ﴾ أي حولهم ﴿بُنْيَانًا﴾ يسترهم ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ أمر الفتية وهم المؤمنون ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ حولهم ﴿مَسْجِدًا﴾ يصلّى فيه، وفعل ذلك

على بـاب الكهف.

ابـن عـادل (ت٨٨٠هـ) في اللبـاب في علوم الكتـاب: وقيل: إنَّ بعضهم، قال: سـدّوا عليهـم بـاب الكهف؛ لئلاَّ يدخـل أحدٌ عليهـم، ويقف عـلى أحوالهم. وقال آخـرون: بل الأولى أن يبنـى عـلى بـاب الكهف مسـجدٌ، وهذا القـول يدلُّ عـلى أنَّ هؤلاء القـوم كانوا عارفـين بـالله تعـالى، ويعترفـون بالعبـادة و الصـلاة. وقيـل: إنَّ الكفـار قالـوا: إنهـم على ديننـا، فنتخـذ عليهـم بنياناً، وقـال المسـلمون [إنّهم] على ديننـا، فنتخذ عليهم مسـجداً.

قولـه: ﴿**لَنَتَّخِـذَنَّ عَلَيْهِـم مَّسْـجِداً**﴾ يعبـد الله فيه، ونسـتبقي آثار اصحـاب الكهف بسـبب ذلك المسـجد .

الأعقـم (ت القرن٩هـ) في تفسـيره: ﴿**لَنَتَّخِـذَنَّ عَلَيْهِـم مَّسْـجِداً**﴾ أي متعبـداً أو موضعـاً للسـجود والعبـادة، اتخـذوا عـلى بـاب الكهـف مسـجداً يصـلّي فيه المسـلمون.

الفيـض الكاشـاني (ت١٠٩٠هـ) في الصـافي في تفسـير كلام الله الـوافي: ﴿**فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِـم بُنْيَانـاً**﴾ حـين توفّاهـم ثانيـاً ﴿**رَبُّهُـمْ أَعْلَمُ بِهِـمْ**﴾ اعتراض ﴿**قَـالَ الَّذِيـن غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِـمْ**﴾ مـن المسـلمين وملكهم ﴿**لَنَتَّخِـذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْـجِداً**﴾ يصلّي فيه المسـلمون ويتبرّكـون بمكانهم.

الشـوكاني (ت١٢٥٠هـ) في تفسـير فتـح القديـر: ﴿**قَـالَ الَّذِيـنَ غَلَبُـواْ عَلَى أَمْرِهِـمْ لَنَتَّخِـذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْـجِدًا**﴾ ذكر اتخاذ المسـجد يشـعر بأن هؤلاء الذيـن غلبوا على أمرهم هـم المسـلمون، وقيـل: هـم أهـل السـلطان والملك مـن القـوم المذكوريـن، فإنهـم الذين يغلبـون عـلى أمـر مـن عداهـم، والأوّل أولى. قـال الزجـاج هـذا يـدل عـلى أنـه لمـا ظهر أمرهـم، غلـب المؤمنـون بالبعـث والنشـور؛ لأنَّ المسـاجد: للمؤمنين.

الآلـوسي في روح المعـاني (ت١٢٧٠هـ) لـه كلام طويـل، هـذا بعضه، ويـأتي الآخر. وهـذا القـول من البعض عنـد بعض كان عـن اعتناء بالفتيـة، وذلك أنهم ضنـوا بتربتهم، فطلبـوا البنـاء عـلى بـاب كهفهـم ؛ لئلا يتطـرق النـاس إليهـم... والمذكـور في القصـة أنَّ

الملـك جعـل على بـاب الكهـف مسـجداً، وجعل لـه في كلّ سـنة عيـداً عظيـماً.... ويدل هـذا عـلى أنَّ الطائفـة الأولى لم تكـن كذلـك، وقـد روي أنهـا كانـت كافـرة، وأنهـا أرادت بنـاء بيعـة أو مصنـع لكفرهم، فمانعهـم المؤمنون وبنوا عليهم مسـجداً. ثم يقـول: وظاهر هـذا الخـبر أنَّ المسـجد مقابـل البيعـة، وما أخرج ابن أبـي حاتم عن سـعيد بـن جبير من أنَّ الملـك بنـى عليهـم بيعة فكتـب في أعلاها أبنـاء الأراكنة أبنـاء الدهاقين ظاهـر في عدم المقابلـة، ولعلـه الحـقّ؛ لأنـه لا يصح أن يراد بالمسـجد هنا مـا يطلق عليه اليـوم من مصلّى المحمديـين، بـل المـراد بـه معبـد المؤمنـين مـن تلك الأمـة، وكانـوا على مـا سـمعت أولاً نصـارى ... ومعبدهـم يقال لـه بيعة.

وظاهر ما تقدم أنَّ المسجد اتخذ لأن يعبد الله تعالى فيه من شاء.

وأخـرج أبـو حاتـم عـن السـدي أنَّ الملك قـال: لأتخذن عند هـؤلاء القـوم الصالحين مسـجداً، فلأعبـدن الله تعـالى فيه حتـى أموت.

وعـن الحسـن: أنه اتخـذ ليُصلّي فيـه أصحابُ الكهـف إذا اسـتيقظوا. وهـذا مبنيٌّ على أنهـم لم يموتـوا بـل ناموا كـما نامـوا أولاً، وإليه ذهـب بعضهم، بـل قيل: إنهـم لا يموتون حتـى يظهـر المهـدي، ويكونوا من أنصـاره، ولا معول عـلى ذلك، وهو عندي أشـبه شيء بالخرافات.

ثـمّ لا يخفـى أنـه على القـول بـأنَّ الطائفـة الأولى الطالبة لبنـاء البنيان عليهـم إذا كانت كافـرة لم تكـن غايـة الإعثـار متحققـة في جميـع المعثريـن، ولا يتعـين كـون ﴿**رَبُّهُـمْ أَعْلَمُ بِهِـمْ**﴾ مسـاقاً لتعظيم أمر أصحـاب الكهف، ولعل تلـك الطائفة لم تتحقـق حالهم، وأنهم نامـوا تلـك المـدة ثم بعثـوا، فطلبت انطـماس الكهـف عليهم، وأحالـت أمرهـ إلى ربّهم سـبحانه، والله تعـالى أعلم بحقيقـة الحال.

وقرأ الحسـن وعيسـى الثقفـي ﴿**غُلِبوا**﴾ بضـم الغين وكسر الـلام عـلى أن الفعل مبنيٌّ للمفعـول، ووجـه بذلك بـأنَّ طائفة مـن المؤمنين المعثريـن أرادت أن لا يبنـى عليهم شيء

ولا يتعرض لموضعهم.

وطائفة أخرى منهم أرادت البناء وأن لا يطمس الكهف، فلم يمكن للطائفة الأولى منعها، ووجدت نفسها مغلوبة؛ فقالت: إن كان بنيان ولا بد فلنتخذن عليهم مسجداً.

عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (ت١٣٧٦هـ) في تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ﴿فَقَالُواْ ابْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً﴾ الله أعلم بحالهم ومآلهم، وقال من غلب على أمرهم، وهم الذين لهم الأمر: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ أي: نعبد الله تعالى فيه، ونتذكر به أحوالهم، وما جرى لهم.

الجنابذي (ت القرن ١٤هـ) تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة:.. ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ أمر الفتية أو أمر أهل البلد من الرّؤساء، أو قال الّذين غلبوا على أمر أنفسهم بالإسلام، وغلبتهم على الشّيطان ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ معبداً يُعبد فيه ويُزار ويتبرّك.

ابن عجيبة(ت١٢٢٤هـ) في البحر المديد: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ وهو الملك والمسلمون، وكانوا غالبين في ذلك الوقت: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ فذكر في القصة أنه جعل على باب الكهف مسجدًا يصلّى فيه.

الصابوني (ت١٩٣٠م) في صفوة التفاسير: لنتخذنَّ على باب الكهف مسجداً نُصلّي فيه ونعبد الله فيه.

محمد زكي إبراهيم (ت١٤١٩هـ) في الإفهام والإفحام أو قضايا الوسيلة والقبور؛١٤٦:.. فالفريقان اتفقوا على البناء لحفظه واحترامه، ثم اختلفوا في نوع البناية وهدفها، فقال الفريق الثاني: إنه لا يصح أن يتخذ على هؤلاء الصالحين بلا غاية ولا عائد، فاتخذوا المسجد عليهم للحفظ والبركة، ولا يبتنى المساجد إلّا المؤمنون، ويجب أن نفهم أن قصص القرآن إنما هي للتوجيه والأعتبار وليس الذين بنوا المسجد على قبر أهل الكهف ليس هم الكفرة والمتسلطون كما يزعم من يلوي عنق معاني الآية...

هذا ما جاء عن المفسرين وهم كثر، أما الروايات:

فقال ابن عباس: في البنيان فقال المسلمون: نبني عليهم مسجداً يُصلّي فيه الناس؛ لأنهم على ديننا. وقال المشركون: نبني بنياناً؛لأنهم على ملتنا، أو لأنهم من أهل نسبنا، أو لأنهم من سنّتنا.

أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: دعا الملك شيوخاً من قومه، فسألهم عن أمرهم، فقالوا: كان ملك يدعى دقيوس، وإن فتية فُقِدُوا في زمانه، وأنه كتب أسماءهم في الصخرة التي كانت على باب بالمدينة. فدعا بالصخرة فقرأها فإذا فيها أسماؤهم، ففرح الملك فرحاً شديداً وقال: هؤلاء قوم كانوا قد ماتوا فبعثوا، ففشا فيهم أن الله يبعث الموتى. فذلك قوله: ﴿**وَكَذَلِكَ أعثَرنَا عَلَيهِم لِيَعلَمُوا أنَّ وَعدَ الله حَقٌّ وَأنَّ السَّاعَةَ لَا رَيبَ فِيهَا**﴾ فقال الملك: لأتخذن عند هؤلاء القوم الصالحين مسجداً، فلأعبدن الله فيه حتى أموت. فذلك قوله: ﴿**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً**﴾.

قال عبيد بن عمير: عمى الله عزَّ وجلَّ على الذين أعثرهم على أصحاب الكهف مكانهم فلم يهتدوا، فقال المشركون: نبني عليهم بنياناً فإنهم أبناء آبائنا، ونعبد الله فيها. وقال المسلمون: نحن أحقُّ بهم، فإنهم منا، نبني عليهم مسجداً نُصلّي فيه، ونعبد الله عزَّ وجلَّ فيه.

أنهم الذين أسلموا حين رأوا أهل الكهف، قاله ابن السائب.[1]

---

١. ذكرت هذه الروايات في العديد من التفاسير، وكان منها: تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت٣١٠هـ)؛ تفسير الهدايه إلى بلوغ النهايه، مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ؛ تفسير معالم التنزيل، البغوي (ت٥١٦هـ)؛ تفسير زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)؛ تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (ت٧٢٥هـ؛ تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي (ت٩١١هـ).

هذا أولاً.

وأما ثانياً؛ فقد ذكروا أنَّ هناك قاعدة؛ تتلخص فيما يذكره القرآن من حكاية قول القائلين، فإما أن يعقبه بما يشعر بردّه بأن يذكره قبله أو معه أو بعده، فهذا واضح في بطلانه. وإما أن يسكت عنه، فيدلّ على صحته، غالباً.

ويسوقون أمثلة قرآنيّة عديدة لذلك؛ منها: ما حكاه التنزيل العزيز من أقوال اليهود ومزاعمهم ودعاويهم الباطلة، كما في الآية ٨٠ من سورة البقرة: ﴿**وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً**﴾ فيأتي الردُّ؛ ليكشف زيف زعمهم أنَّ النار لن تمسّهم إلّا هذه المدّة لا غير: ﴿**قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾.

الشيخ الطبرسي: قل يا محمد لهم ﴿**أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللهِ عَهْداً**﴾ أي موثقاً أنه لا يعذبكم إلّا هذه المدة، وعرفتم ذلك بوحيه وتنزيله، فإن كان ذلك، فالله سبحانه لا ينقض عهده وميثاقه ﴿**أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ الباطل جهلاً منكم به وجرأة عليه. الآية:١١١ من سورة البقرة: ﴿**وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً أَوْنَصَارَى**﴾. الشيخ الطبرسي: ثمَّ حكى سبحانه نبذاً من أقوال اليهود ودعاويهم الباطلة، فقال: ﴿**وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً أَوْنَصَارَى**﴾. وهذا على الإيجاز وتقديره قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلّا من كان يهودياً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلّا من كان نصرانياً. ووحّد كان؛ لأنَّ لفظة مَن قد تكون للواحد وقد تكون للجماعة، وإنما قلنا : إنَّ الكلام مقدر هذا التقدير؛ لأنَّ من المعلوم أنَّ اليهود لا يشهدون للنصارى بالجنة، ولا النصارى لليهود، فعلمنا أنه أدرج الخبر عنهما للإيجاز من غير إخلال بشيء من المعنى، فإنَّ شهرة الحال تغني عن البيان الذي ذكرنا، ومثله قول حسان بن ثابت:

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُم و يَمْدَحُهُ وَ يَنْصُرُهُ سَوَاءُ

تقديره ومن يمدحه وينصره، غير أنه لما كان اللفظ واحداً، جمع مع الأول، وصار كأنه إخبارٌ عن جماعة واحدة، وإنما حقيقته عن بعضين متفرقين، وهذا على الإيجاز؛ وتقديره قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلّا من كان يهودياً.

وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلّا من كان نصرانياً.

وحتى يفضح زعمهم هذا، ويُفنده، ويكشف أكاذيبهم، وأنَّها مجرّد أماني كاذبة يتمنونها على الله تعالى، يأتي الردُّ مباشرة: ﴿**تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾.

الزمخشري: أمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم، أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم.

وقوله: ﴿**قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ**﴾، متصل بقولهم: ﴿**وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً أَوْنَصَارَى**﴾. و﴿**تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ**﴾ اعتراض، أو أريد أمثال تلك الأمنية أمانيهم، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. يريد أن أمانيهم جميعاً في البطلان مثل أمنيتهم هذه. ﴿**قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾، هلموا حجّتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ﴿**إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ في دعواكم، وأنَّ كلّ قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت.

الطبري:.. أنه أمانيّ منهم يتمنونها على الله بغير حقّ ولا حجّة ولا برهان ولا يقين علم بصحة ما يدعون، ولكن بادّعاء الأباطيل وأماني النفوس الكاذبة.

ثمَّ ردَّ عليهم أيضاً بالآية ١١٢: ﴿**بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾.

الطبرسي: ثمَّ ردَّ الله سبحانه عليهم مقالتهم، فقال: ﴿**بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ**﴾. قيل: معناه من أخلص نفسه لله بأن سلك طريق مرضاته عن ابن عباس، وقيل: وجَّه وجهه لطاعة الله، وقيل: فوض أمره إلى الله، وقيل: استسلم لأمر الله وخضع وتواضع لله؛ لأنَّ أصل الإسلام الخضوع والانقياد وإنما خص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في

السجود لم يبخل بسائر جوارحه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله، وقيل: وهو مؤمن، وقيل: مخلص ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ معناه فله جزاء عمله عند الله ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

القرطبي:.. ثم قال تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ رَدًّا عليهم وتكذيباً لهم أي ليس كما تقولون ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ﴾ ومعنى «أسلم» استسلم وخضع. وقيل: أخلص عمله. وخصّ الوجه بالذكر؛ لكونه أشرف ما يُرَى من الإنسان، ولأنه موضع الحواس، وفيه يظهر العِزّ والذُّل. والعرب تُخبر بالوجه عن جملة الشيء.

الشوكاني: ثمَّ ردَّ عليهم، فقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾، وهو إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة، أي ليس كما يقولون بل يدخلها من أسلم وجهه لله... فقوله: ﴿فَلَهُ﴾، هو الجزاء، ومجموع الشرط، والجزاء ردّ على أهل الكتاب، وإبطال لتلك الدعوى.

الآية: ١١٣: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

الشوكاني:.. وفي هذا أعظم توبيخ، وأشدّ تقريع؛ لأنَّ الوقوع في الدعاوى الباطلة، والتكلم بما ليس عليه برهان هو وإن كان قبيحاً على الإطلاق، لكنه من أهل العلم والدراسة؛ لكتب الله أشدّ قبحاً، وأفظع جرماً، وأعظم ذنباً.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ المراد بهم كفار العرب، الذين لا كتاب لهم قالوا مثل مقالة اليهود اقتداءً بهم؛ لأنهم جهلة لا يقدرون على غير التقليد لمن يعتقدون أنه من أهل العلم. وقيل المراد بهم طائفة من اليهود، والنصارى، وهم الذين لا علم عندهم.

ثمَّ أخبرنا سبحانه بأنه المتولى لفصل هذه الخصومة التي وقع فيها الخلاف عند الرجوع إليه، فيعذب من يستحق التعذيب، وينجي من يستحق النجاة.

الآيـة:١١٦: ﴿وَقَالُـواْ اتَّخَـذَ اللهُ وَلَدًا سُـبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَـا فِي السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾.

الطـبري: ﴿وَقَالُـواْ اتَّخَـذَ اللهُ﴾ وهـم النصـارى الذيـن زعمـوا أنَّ عيسـى ابـن الله؟ فقال الله جلَّ ثناؤه مكذّبـاً قِيـلَهم ما قالوا من ذلك، ومنفـياً ما نـحلوه وأضافوا إلـيه بكذبهـم وفريتهـم: ﴿سُـبْحَانَهُ﴾ يعنـي بهـا: تنزيهـاً وتبريئـاً من أن يكـون له ولـد، وعلوًّا وارتفـاعاً عن ذلك!

الآيـة: ٢٨ مـن سـورة الأعـراف: ﴿وَإِذَا فَعَلُـواْ فَاحِشَـةً قَالُـواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَـا آبَاءنَا وَاللهُ أَمَرَنَـا بِهَا﴾.

كان المشركـون يطوفـون بالبيت عراة يقولون: نطـوف كما ولدتنا أمهاتنـا، فتضع المرأة عـلى قبلهـا النسـعة أو الـشيء، أو أنَّ العـرب كانـت ما عـدا قريشـاً لا يطوفـون بالبيت في ثيابهـم التـي لبسـوها، يتأولون في ذلـك أنهم لا يطوفـون في ثياب عصـوا الله فيها، وكانت قريـش، وهـم الحمـس، يطوفون في ثيابهـم، ومن أعاره أحمـسي ثوباً، طاف فيـه، ومن معه ثـوب جديـد، طـاف فيه، ثم يلقيـه، فلا يتملكه أحـد، ومن لم يجـد ثوباً جديـداً، ولا أعاره أحمـسي ثوبـاً، طـاف عرياناً، وربما كانـت امرأة، فتطـوف عريانة، فتجعل على فرجها شـيئاً ليستره بعض السـتر، فتقول:

اليَـوْمَ يَبْدُو بَعْضُـه أَوْ كُلُّهُ و ما بَـدا مِنْـهُ فَـلا أُحِلُّهُ

وأكثـر مـا كان النسـاء يطفـن عـراة بالليـل، وكان هـذا شـيئاً قـد ابتدعـوه مـن تلقـاء أنفسـهم، واتبعـوا فيـه آباءهم، ويعتقـدون أنّ فعـل آبائهم مسـتند إلى أمر مـن الله وشرع.

فأنكـر الله تعـالى عليهـم ذلـك، فقـال: ﴿وَإِذَا فَعَلُـواْ فَاحِشَـةً قَالُـواْ وَجَدْنَـا عَلَيْهَـآ ءَابَاءَنَـا وَاللهُ أَمَرَنَـا بِهَـا﴾. ففـي هذه الآيـة ما هو حقٌّ ومـا هو باطل، فما هـو حقٌّ قولهم: ﴿قَالُـواْ وَجَدْنَـا عَلَيْهَا آبَاءنَا﴾. وهنـا لم يأتِ ردٌّ عليه، بمعنى لم يُبطـل الله تعالى قولهم هذا؛ وبالتـالي يـدلُّ عـدم إبطالـه على صحتـه ؛ أنَّهـم وجدوا عليـه آباءهـم، ورثوه مـن آبائهم،

قلّـدوا آباءهـم فيـه .. فهذا قـول صحيح لا ريـب فيه .

أمـا مـا هـو باطل من قولهـم فهـو﴿**وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا**﴾، أنّ ما فعلوه من الفاحشـة نسـبوه إلى الله تعـالى، فهنـا تدخّلـت السـماء لـتردّه وتبطلـه بقولـه تعـالى: ﴿**قُـلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُـرُ بِالْفَحْشَـاءِ أَتَقُولُـونَ عَلَى اللهِ مَـا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾.

﴿**قُـلْ**﴾ أي يـا محمـد لمـن ادعـى ذلـك ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُـرُ بِالْفَحْشَـاءِ**﴾ أي هـذا الـذي تصنعونـه فاحشـة منكـرة، والله لا يأمر بمثل ذلـك، ﴿**أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَـا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾. أي أتسـندون إلى الله مـن الأقـوال مـالا تعلمون صحتـه. أو أتكذبـون عليه.

ونجـد ردًّا أو تعقيبـاً حتـى في قصـة أهـل الكهـف نفسـها، حـين وقـع الاختـلاف في عددهـم في الآيـة ٢٢ مـن سـورة الكهف، نكتفي بـشيء مختصـر منه: ﴿**سَـيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُـمْ كَلْبُهُـمْ وَيَقُولُـونَ خَمْسَـةٌ سَادِسُـهُمْ كَلْبُهُـمْ رَجْمـاً بِالْغَيْـبِ وَيَقُولُـونَ سَـبْعَةٌ وَثَامِنُهُـمْ كَلْبُهُـمْ قُل رَّبِّي أَعْلَـمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُـمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِـمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِـراً وَلاَ تَسْـتَفْتِ فِيهِـمْ مِّنْهُـمْ أَحَداً**﴾.

وقـد بـيَّن سـبحانه وتعـالى في هذه الآيـة تنازعهـم في عددهـم، فحكى التنزيـل العزيز ثلاثـة أقوال، ويـأتي الـردُّ أو التعقيـب مـرّةً بقوله تعـالى:﴿ **رَجْمـاً بِالْغَيْـبِ**﴾. وذلك حين أتبـع القولـين الأولـين: ﴿**سَـيَقُولُونَ ثَلاثَـةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُـمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَـةٌ سَادِسُـهُمْ كَلْبُهُـمْ**﴾. أي قذفـاً بالظـن مـن غير يقـين ،كما قال الشـاعر:

وأَجْعَلُ مِنِّـي الـحَقَّ غَيْبـاً مُرَجَّمَا

أو رميًـا بالخـبر مـن غـير اطـلاع على حقيقـة الأمـر، أو ظنًـا بالغيـب من غـير تحقيق، أو ظنًّـا وحدسـاً مـن غير يقين، ومـرّةً بقوله تعـالى: ﴿**قُل رَّبِّي أَعْلَـمُ بِعِدَّتِهِم مَّـا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيـلٌ**﴾. والخطـاب لرسـول الله ﷺ يقول الطبري: ﴿**قُـل رَّبِّي أَعْلَـمُ بِعِدَّتِهِم**﴾. يقول عزّ ذكـره لنبـيّه مـحمد ﷺ: قل يا مـحمد لقائلـي هـذه الأقوال فـي عدد الفتـية من

أصحاب الكهف رجماً منهم بالغيب: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ﴾.[1]

بعد هذا نأتي للآية موضع البحث التي تشير إلى أنَّ أهل البلد لما عثروا على الفتية، صاروا إزاءهم فريقين، يُعرف هذا من خلال القولين ومن خلال السياق: ﴿فَقَالُواْ ابْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً...﴾. ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً﴾.

وحسب السياق فالقول الأول يدلُّ على أنَّ قائليه هم المشركون، فيما القول الثاني هو قول الموحدين، والتنزيل العزيز ذكر القولين دون استنكار، ودون أي تعقيب يحمل إبطالاً لكلا القولين، وبالأخص لقول من أراد اتخاذ المسجد، من أنَّ المسجد لا يصحُّ أن يُبنى عليهم، بمعنى أنّ التنزيل لم يُعقب على بطلان قولهم هذا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ وبالتالي لو كان هناك باطل ؛ لكان المناسب الإشارة إليه، بل وإبطاله، فليس هناك انتقاد للقولين، ولم يطرحا بأسلوب رافض ولا ساخر، بل الآية طرحت قول الموحدين بسياق يفيد المدح، وأنه جاء قاطعاً ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾ لا فقط مجرد بناء.. فالتنزيل العزيز لم يذكر تعقيباً على قولهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ يحمل نهياً أو ذمًّا أو استنكاراً، ولو كان عملهم عملاً منكراً لما سمّاه مسجداً، ولا يصحّ السكوت عنه، بل لا بدَّ من شجبه واستنكاره، حتى لا يفعلوه ولا يقتدي به غيرهم، وكذلك لو كان اتخاذ المسجد أو بناؤه على قبور الفتية أو بجوارها، أو على باب الكهف معلماً على الشرك، وداعياً إلى عبادة غير الله تعالى، فكيف يتبناه المؤمنون ويدعون إليه، ويصرحون به، ولماذا ذكر التنزيل العزيز اقتراحهم ذلك دون أي نقد أو ردّ له ؟ وفي هذه الحالة يكون تقريراً، والتقرير حجّة على صحّة بناء المسجد.

---

١. الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن ؛ ، الزمخشري (ت٥٣٨هـ) تفسير الكشاف ؛ الطبري (ت٣١٠هـ) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن ؛ القرطبي (ت٦٧١هـ) ؛ ، الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) تفسير فتح القدير ؛ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم ؛ الخازن (ت٧٢٥هـ)، تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل.

ثـمَّ لمـاذا هذا الكـم من المفسريـن يذهبـون إلى أنَّ المراد من قولهـم: ﴿**لَنَتَّخِـذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْـجِدًا**﴾ ليُصـلّى به، لُيتبرك بـه، لنعبد الله فيه.

يقـول الفقيـه المحـدث الأزهـري محمـد زكـي إبراهيـم (ت١٤١٩هجريـة): ثـمَّ إنَّ سـياق الآيـة يفيـد الاستحسـان والتوجيه؛ لعـدم التعقيـب عليه بالنهـي أو نحـوه، ولهذا جـاز الاسـتدلال بهـذه الآيـة في الموضـوع.

ثـمَّ يواصل كلامـه قائلاً: ولهذا اسـتباح الصحابة والتابعين ومن بعدهم اتخاذ المسـجد (بعـد وقبـل التوسـعة) في جانـب قبر رسـول اللهﷺ حتى أدخل القبر إلى المسـجد نفسـه، والديـن حـيٌّ، والعلـماء مـلء الديـار، ولم يؤثـر عن أحد منهـم اعـتراض عليـه أو انتقاد، وإلّا لـكان هـؤلاء الذيـن فعلـوا ذلـك، والذيـن سـكتوا عليه ملعونـين!! وهـم من خيرة الصحابـة والتابعـين وصالحي المسـلمين الذيـن يتضاعف عددهـم إلى يـوم القيامة بلايين وبلايين.[1]

الشـيخ السـبحاني: قولـه تعـالى: ﴿**قَـالَ الَّذيـنَ غَلَبـوا عَلَى أَمْرهـمْ لَنَتّخـذَنّ عَلَيْهِم مَّسْـجِدًا**﴾. حيـث أخبرنـا الله تعـالى عـن المؤمنـين الذيـن قـرّروا أن يتّخذوا مـن مضجع الفتيـة المؤمنـة مسـجداً يسـجدون لـه سـبحانه فيـه، ويعبدونـه وهـم مؤمنـون وليسـوا بمشركـين، و لم يذمّهـم الله تعـالى عـلى ذلـك.

و ممّـا لا شـك فيـه أنَّ شـأن الأنبيـاء والأئمـةعليهم السلام أرفـع من شـأن أولئـك الفتيـة، فإذا جـاز بنـاء قبورهم، فبـالأولى جـواز ذلـك بالنسـبة إلى الأنبيـاء والأئمةعليهم السلام.

فيظهـر مـن الكتـاب أنّ البنـاء عـلى القبـور، بـل بنـاء المسـجد عليهـا كان جـائزاً في الشرائـع السـابقة، وأنّ الناس عندما وقفوا على مكان أجسـاد أصحـاب الكهف، اختلفوا

---

١. انظـر كتـاب الإفهـام والإفحـام أو قضايـا الوسـيلة والقبور في ضوء سـماحة الإسـلام، الإمام السـيد محمـد زكـي إبراهيم رائد العشـيرة المحمدية، اعتنـى به وخـرج أحاديثه محيي الدين الأسـنوي، تلميذ المؤلـف: ١٤٦ـ١٤٧، تاسـعاً: الاسـتدلال بآية سـورة الكهف: ٢١.

على قولين: فمن قال: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً﴾ ومن قال: ﴿لَنَتَّخِذَنّ عَلَيْهِم مَسْجداً﴾. والاستدلال بالآية واضح لمن يرى القرآن قدوةً وأُسوةً وفيصلَ حقٍّ، فإنّ القرآن ينقل كلا القولين، من دون أن ينتقدهما أو يعترض عليهما، بل الظاهر أنّه ينقلهما بصورة التحسين، وأنّ أصحاب الكهف بلغ بهم ثباتهم في طريق العقيدة إلى حدٍّ؛ لما عثر عليهم الناس اجتمعوا على تكريمهم واحترامهم، بل التبرك بهم، فمن قائل بلزوم البناء عليهم وآخر باتخاذ مراقدهم مسجداً، وليس القرآن كتاب قصة وأُسطورة، وإنما هو كتاب إرشاد وقدوة وإمام لنا، فلم يذم بناءهم على القبور، فلو كانوا في عملهم هذا ضالّين لاعترض على عملهم، كما هو الحال فيما ينقل عن المشركين، والكافرين عملاً أو رأياً.[1]

السيد محسن الأمين: ومما يدل على جواز بناء المساجد عند قبور الصالحين أو على قبورهم تبركاً بهم قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾.

في الكشاف: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ من المسلمين وملكهم، وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجداً يصلّي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم.

ونحوه عن تفسير الجلالين عن السنوي في معالم التنزيل قال المسلمون: نبني عليهم مسجداً يُصلّي فيه الناس لربّ العالمين.

وعن ابن عباس قال المسلمون: نبني عليهم مسجداً، يُصلّي فيه الناس؛ لأنهم على ديننا.

وعن النيشابوري في غرائب القرآن: ﴿الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِم﴾ وملكهم المسلم؛ لأنهم بنوا عليهم مسجداً يصلّي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم، وكانوا أولى بهم

١. الشيخ جعفر السبحاني، بحوث في الملل والنحل ٤ : ١٩٧ـ٢٠٨.

وبالبنـاء عليهــم حفظـاً لتربتهم.

وفي مجمـع البيـان: ﴿**قَـالَ الَّذِينَ غَلَبُـواْ**﴾ يعني الملك المؤمـن وأصحابه، وقيـل: أولياء أصحـاب الكهـف مـن المؤمنـين، وقيل: رؤسـاء البلـد عـن الجبائـي ﴿**لَنَتَّخِـذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْـجِداً**﴾. متعبـداً وموضعـاً للعبادة والسـجود يتعبـد الناس فيـه تبركاً بهـم، ودلَّ ذلك عـلى أنَّ الغلبة كانـت للمؤمنين.

وبعـد أن يذكـر هـذا، يقـول السـيد الأمـين: فقد حكـى الله تعـالى مقالة المسـلمين من غـير ردٍّ عليهـم ولا إنـكار؛ لعلّـه ذكرها في معـرض المدح، فيكـون ذلك تقريـراً لها حكى الله تعـالى قصـص الماضـين؛ لتعتبر بها هـذه الأمّة وتقتدي بالحسـن منها وتتجنـب القبيح.

وبعـد هـذا يقـول السـيد الأمين: ومـن الغرائب مـا يحكى عن شـارح كتـاب التوحيد لابـن عبـد الوهـاب أنه قـال بعد ذكـر الآية: هـذا دليل عـلى أنَّ الذيـن غلبوا هـم الكفار؛ إذ لـو كانـوا مؤمنين ما أرادوا أن يتخـذوا على قبور الصالحين مسـجداً؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله لعن فاعـل ذلك.

ثـمَّ يُعقّب السـيد الأمـين على هـذا قائلاً: فـكأن معتقـدات الوهابية عند هـذا الرجل وحـي منزل، فلذلك تكون ناسـخة للقـرآن الكريم، ويجب حمله عليهـا، ولا يجوز تطبيقها عليـه، وهل يلتفت إلى هذا الاحتمال السـخيف بعد إطباق المفسـرين عـلى خلافه، ومنهم ابـن عباس ترجمـان القرآن وإمام المفسـرين، ومخالفتـه لظاهر الآية وسـياقها؛ كما يفهم مما مـرَّ مـع أنَّ ظاهـر قولـه تعـالى: ﴿**إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُـمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُـواْ ابْنُواْ عَلَيْهِـمْ بُنْيَاناً رَّبُّهُـمْ أَعْلَـمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِيـنَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِـمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْـجِداً**﴾.

إنَّ الجميـع كانـوا متفقـين على البناء الذي يحرمـه الوهابية، وإنما كان التنـازع في كيفيته، فالوهابيـون بمنعهـم البنـاء عـلى القبور قـد خالفـوا المسـلمين والكافرين، وقـد نجى الله ذلـك الملـك المسـلم ورعيتـه المسـلمين في حياتهـم، فلـم يكـن في زمانهـم وهابيـة، وإلّا لكفروهـم بعـد إسـلامهم وشركوهم بعـد توحيدهم؛ لبنائهم مسـجداً عـلى أهل الكهف

وتبركهم بهم، لكنهم لم يسلموا من الوهابيين بعد موتهم، وبعد أن مضى على موتهم ألوف مؤلفة من السنين، فكفروهم بعدما صاروا تراباً في قبورهم.[1]

ومن المفيد أن نختم هذا الفصل بما ذكرته دار الافتاء المصرية، ليتبيّن أنَّ ما ذكرته لا يبتعد كثيراً، إن لم نقل بتطابقه مع ما ذكرناه لا بخصوص هذه القاعدة فقط، بل بما ذكرناه أعلاه من أقوال المفسرين، وما جاء من الأخبار والروايات بخصوص الآية الكريمة.

وللأمانة أنقل ما ذُكر عنها، وما ذُكر في موقعها، وكان جواباً عن سؤال (استفتاء)، وإن لم يكن هناك فرقٌ مخلٌّ بينهما:

الأول، ذكره الشيخ أبو عبد المعز محمد علي فركوس من الجزائر؛ ليردّه، وقد اعتبره شبهة، وبعد أن يُقرره فيقول: ووجه الاستدلال بالآية أنَّها أشارت إلى قصة أصحاب الكهف، حينما عثر عليهم الناس، فقال بعضهم: نبني عليهم بنياناً، وقال آخرون: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**﴾ والسياق يدلّ على أنَّ الأول: قول المشركين، والثاني: قول الموحّدين.

والآيةُ طَرَحَتِ القولين دون استنكارٍ، ولو كان فيهما شيءٌ مِنَ الباطل، لَكان مِنَ المُناسِبِ أنْ تُشيرَ إليه، وتَدُلَّ على بطلانه بقرينةٍ ما، وتقريرُها للقولين يدلُّ على إمضاءِ الشريعة لهما، بل إنَّها طَرَحَتْ قولَ الموحِّدين بسياقٍ يُفيدُ المدحَ، وذلك بدليلِ المُقابَلَةِ بينه وبين قول المشركين المحفوف بالتشكيك، بينما جاء قولُ الموحِّدين قاطعًا: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ**﴾نابعًا مِنْ رؤيةٍ إيمانيةٍ؛ فليس المطلوبُ عندهم مجرَّدَ البناء، وإنَّما المطلوبُ هو المسجد؛ وهذا القول يدلُّ على أنَّ أولئك الأقوامَ كانوا عارفين بالله مُعْتَرِفين بالعبادة والصلاة.

قال الرازي في تفسير ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَّسجِداً**﴾: نعبد اللهَ فيه، ونستبقي آثارَ

---

١. انظر كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب، السيد محسن الأمين: ٣٣٥ـ٣٣٦.

أصحابِ الكهف بسبب ذلك المسجد.[1]

وقال الشوكانيُّ: ذِكْرُ اتِّخاذِ المسجد يُشْعِرُ بأنَّ هؤلاء الذين غَلَبُوا على أمْرِهم هم المسلمون، وقيل: هم أهلُ السلطانِ والملوكُ مِنَ القوم المذكورين؛ فإنهم الذين يغلبون على أمرِ مَنْ عَدَاهُمْ، والأوَّلُ أوْلى.[2]

وقال الزجَّاجيُّ: هذا يدلُّ على أنَّه لَّما ظَهَرَ أمرُهم غَلَبَ المؤمنون بالبعث والنشور؛ لأنَّ المساجد للمؤمنين. هذا بخصوصِ ما ذُكِرَ في كتاب الله فيما يخصُّ مسألةَ بناء المسجد على القبر.[3]

أما دار الفتوى المصرية؛ فقد قالت: الصلاة في المساجد التي بها أضرحة الأولياء والصالحين صحيحةٌ ومشروعةٌ، بل إنها تصل إلى درجة الاستحباب، وذلك ثابت بالكتاب، والسُّنَّة، وفعل الصحابة، وإجماع الأمّة الفعلي.

فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا**﴾.

وسياق الآية يدل على أنَّ القول الأول هو قول المشركين، وأنَّ القول الثاني هو قول الموحِّدين، وقد حكى الله تعالى القولين دون إنكار؛ فدل ذلك على إمضاء الشريعة لهما، بل إنَّ سياق قول الموحدين يفيد المدح؛ بدليل المقابلة بينه وبين قول المشركين المحفوف بالتشكيك، بينما جاء قول الموحدين قاطعًا، وأنَّ مرادهم ليس مجرد البناء، بل المطلوب إنما هو المسجد.

وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته على (تفسير البيضاوي): في هذه دليل على اتخاذ

---

١. الرازي، تفسير الرازي ١١: ١٠٦.

٢. الشوكاني، فتح القدير في التفسير ٣: ٢٧٧.

٣. انظر الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ أبي عبد المعز محمد علي فركوس، الكلمة الشهرية رقم: ٣٦ في ردِّ شبهة دار الافتاء المصرية في الاستدلال بآية: لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا.

المساجد على قبور الصالحين.[1]

إذن وبعد هذا كلّه ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ دلَّ على أنهم أُناس مؤمنون موحدون عارفون بفضيلة المسجد وقيمته، معترفين بالعبادة والصلاة فيه، اجعلوهم في مكانهم، وابنوا عليهم دار عبادة، يعني مسجداً نُصلّي وإلى جوارنا فتية مباركون؛ وكان هذا رأي الذين غلبوا على أمرهم مقابل قول أولئك المشركين، الذي قد يكون محفوفاً بالتشكيك، وبعيداً عن تعظيم الفتية، والتشجيع على حفظهم وقصتهم، بعكس ما كان يهدف إليه الفريق المؤمن المتفاعل مع سيرة الفتية، وحرصه على توقيرهم وتكريمهم، وإشادةً بذكرهم واستبقاءً لآثارهم ببناء المسجد كما ذكر الرازي: نعبد الله فيه، ونستبقي آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد.

ولتكون للناس على كَرِّ العصور مُذَكَرًا وعِبْرة، كما يُعبر هيكل حين يتعرّض إلى ذكر البقيع: فلم يَغْلُ من سمّاه جنة البقيع، ولم يَغْلُ من رفع القباب على قبور أصحابه، لو أنه قصد منها إلى الإشادة بذكرهم؛ لتكون للناس على كَرِّ العصور مُذَكَرًا وعِبْرة.[2]

بأن يكون عليهم مسجداً يجذب المؤمنين إليهم، وتهوى إليه الأفئدة العارفة الواعية لمحنتهم وسيرتهم ضدَّ الظالمين، ولعلَ كثيراً من المفسرين كما ذكرنا أقوالهم استفادوا ذلك، وراحوا يصرّحون بأنَّه (يُصلّى به، يُعبد الله فيه، يُتبرك فيه،) ولم يُصرحوا بقبح مقالة الفريق الثاني، ولا ببطلان قولهم المحكي عنهم، بمعنى أنّ هؤلاء المفسرين لم يتوقفوا ولم يمتنعوا عن القول بهذا الهدف من اتخاذ المسجد. مع علمهم بأنه اتُخذ على فتية أموات؛ على قبورهم، و﴿الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ يقول أكثر المفسرين هم المؤمنون الموحدون غلبوا رأي المشركين الذين خالفوا بناء المسجد، وقالوا: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾ بل هو المتعين؛ لأنَّ الله سمّاه مسجداً، وغير الموحدين لا يبنون مسجداً،

١. انظر الموقع الإلكتروني لدار الفتوى المصرية .

٢. محمدحسين هيكل، في منزل الوحي، جنّة البقيع : ٥١٢ .

فبنوه ليعبدوا الله فيه، ويتبركوا بمن دُفن فيه أو بجواره.

وقد يُستفاد أنَّ هذا الجزء من الآية لم يكن مجرد إخبار عن بناء مسجد على قبر الفتية المتوفّين، بل هو نصٌّ في ذلك، وعليه فإنَّ أي خبر أو رواية تخالف ما ذكره التنزيل العزيز لا يؤخذ بها، هذا عند من يرى أنّ القرآن الكريم أول المرجحات في قبول الروايات أو ردِّها، أي أنَّ الآية المذكورة توجب ردَّ ما رواه الطرف الآخر كاللعن لليهود والنصارى؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد! فإن لم نؤول مثل هذه الروايات إن صحّت بأنهم جعلوا قبور أنبيائهم نفسها قبلةً يصلّون إليها أو يصلَّون لأصحاب القبور، أو يسجدون على وجه التعظيم لها أو عبادتها؛ كما يفعل الذين كانوا يسجدون للأصنام وللأوثان، وهو بلا شك عملٌ مرفوضٌ، ويُعدُّ شركاً صريحاً؛ وقد يكون لهذا انصبّ عليهم اللعن، والله العالم، وإلّا لا يمكن أن يُعقل أنَّ التنزيل العزيز يصرح ببناء مسجد على قبور فتية الكهف دون ردٍّ أو نهي، ثمَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يلعن الذين بنوا مساجد على قبور الأنبياء، وضمناً أولئك الذين قالوا: كما يأتينا عمّا يقوله الطرف الرافض للبناء على القبور ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً**﴾ ثمَّ أمامنا سيرة الصحابة؛ وقد دُفن النبيُّ صلى الله عليه وآله في بيته في غرفته، دون أي اعتراض من الصحابة بأنَّ الغرفة بناءٌ ولها سقف، ولما تُوفي كلٌّ من الخليفة الأول والثاني نفذت وصيتهما بالدفن في الحجرة نفسها تبركاً برسول الله صلى الله عليه وآله ورغبةً في شفاعته والقرب منه، وحتى في بقيع الغرقد، دُفن عدد من الصحابة في دورهم التي اتخذوها في البقيع. ولطالما دُفن الأولياء والعلماء والصالحون في بيوتهم، أو في قبور رفع متعلقوهم وأتباعهم قواعد وسقوفاً لها بعد دفنهم تكريماً واحتراماً لهم، وليس هناك من معترض طيلة قرون بأنَّ هذه الأفعال مخالفة للدين والشريعة.

هذه خلاصة ما عليه الطرف الأول المؤيد لبناء المساجد على القبور، ولا يرى بأساً ولا حرمة في ذلك، وأنَّ هذا لا يتنافى مع إخلاص العبودية والعبادة لله تعالى.

فقرآنيًّا وكما انتصرت إرادة أولئك الموحّدين، فاتخذوا مسجداً على الفتية الموتى، انتصرت ـ كما يبدو ـ إرادة الفريق الغالب من المسلمين على جواز بناء المساجد والقباب على قبور الصالحين، وبالذات أضرحة من يشكّلون الطهر والقدسية والعصمة والعلم والمعرفة والعطاء الكبير؛ أئمة أهل البيت عليهم السلام، وفاءً وتقديراً لهم وتكريماً لمنزلتهم، واحتراماً لذكراهم وآثارهم، لا لعبادتهم والعياذ بالله، أو التوسل بهم من دون الله تعالى، بل التوسل بهم إلى الله والتشفع بهم إليه طلباً لمرضاته تعالى، استناداً للأدلّة التي تطلب في محلّها.

وبعد هذا نأتي إلى أقوال الطرف الثاني: يبدو أنّ هذا الطرف الرافض بشدّة لمسألة البناء على الموتى، أغلب القائلين به هم الشيخ ابن تيمية، ومن تبعه من كبار تلاميذه ومريديه كابن قيّم الجوزية، وابن كثير؛ وإن سبقهم القرطبي؛ وينطلق هذا الفريق من أنَّ تعظيم قبور الأنبياء والصالحين، واتخاذها مساجد والصلاة فيها، وإضاءتها وإيقاد السرج عليها، والبناء فوقها وتجصيصها، والكتابة عليها، ورفعها وتعليتها، ثمَّ اتخاذها عيداً واجتماعاً، يكون كلُّ هذا مدعاةً للغلو فيها، وبالتالي يُصيّرها أوثاناً تُعبد من دون الله تعالى، وأهم أدلتهم هو ما ذكروه من الروايات اللّاعنة لمن اتخذ القبور مساجد.

فالقرطبي سبقهم، حسب ما تيسّر لي، وقد يكون هناك غيره...[1]

١. و في العدد ٥٤ «عدد خاص بالبقيع»، قد نشرت مقالة جيدة للشيخ محمد القايني تحت عنوان «بناء الأضرحة...» وأيضاً مقالة جيدة للأستاذ محسن الأسدي، مؤلف هذه المقالة، تحت عنوان «بقيع الغرقد»، فردّ هذا القول الباطل لابن تيمية وأتباعه. مجلة ميقات الحج.

أخذ صورة شخصيّة و النظر إلى الزوجة عن طريق الاتصال المرئي في الإحرام

مهدي الساجدي

ملخّص البحث :

تمّ في هذه الدراسة، التحقيق في حكم أخذ صورة شخصيّة بكاميرا الهاتف المحمول والنظر إلى الزوجة عن طريق الاتصال المرئي في الإحرام. وكانت نتائج هذا البحث الذي تمّ بمساعدة البرمجيات وأبحاث المكتبات كما يلي:

تعرض شاشة الهاتف المحمول، صورة لما هو أمام عدسة الكاميرا عند التصويرولها وظيفة تشبه المرآة، لكنّها لا تتمتّع بالثبات في العمل والاستقلالية في عرض الصورة، بل يستخدم العدسات والدوائر الالكترونية لعرض الصورة؛ إذن لايُعدّ عرفاً مصداقاً للمرآة و مع ذلك، حيث يكون النظر في المرآة بقصد الزينة حراماً للمُحرم، لا يجوز للمُحرم النظر إلى الصورة التي تنعكس على شاشة الهاتف المحمول لغرض الزينة؛ لذلك، يُسمح بالتقاط الصور بكاميرا الهاتف المحمول للمُحرم مع هذا القيد. و أيضاً الفقهاء لايرون النظر الشهوي إلى الزوجة للمُحرم مجازاً، إذن جواز النظر إلى الزوجة للمُحرم في الإتصال المرئي، مشروط بخلوّ نظره عن الشهوة و لايسمح